المدخل

الإنشاء:

هو أحداث الوحدة والتكامل بين العناصر المختلفة للعمل الفني من خلال عمليات التنظيم وإعادة التنظيم والتحليل والتركيب والحذف والإضافة والتغيير في الأشكال والدرجات اللونية وفهم الضوء والظل والمساحات وغير ذلك من المكونات، وكما يقول رسكن J. Ruskin فإنه ببساطة وحرفياً فإن الإنشاء يعني وضع أشياء عديدة معاً، بحيث تكون في النهاية شيئاً واحداً وطبيعة وجود كل من هذه العناصر يساهم مساهمة فعالة في تحقيق العمل النهائي الناتج، وفي الإنشاء لا بدَّ وأن يكون كل شيء موضح محدد ويؤدي الدور المطلوب والنشاط من خلال علاقته بالمكونات الأخرى فالوحدة أو التكامل في العمل الفني، أي الإنشاء، هو تآلف وتعاون كل الخصائص الضرورية كالخط والمساحة واللون والضوء... الخ.

وفي أحدث تلخيص كلي تكون كل العناصر التكوينية فيه متفاعلة في نمط واحد متّسق.

إن غرض الإنشاء هو الوصول إلى النمط المتناسق المتماسك ولدى ماتيس فالإنشاء هو التنظيم بطريقة زخرفية للعناصر المختلفة التي تكون متاحة للمصور للتعبير عن مشاعره، وتعبير (طريقة زخرفية) يتناسب أكثر مع الطريقة الوحشية في الفن التي تبناها ماتيس وأبدع فيها والتي تؤكد على حيوية اللون وتدفقه وحرارته. قد لا يكون هذا التعبير مناسباً فيما يتعلّق بمدارس فنية أخرى، فلكل مدرسة طريقتها في معالجة عناصر الإنشاء ولكل فنان طريقته وأسلوبه.

قيمة العمل الفني تتمثل في التنظيم للعناصر التصويرية من خط وكتابة وسطح ولون ووحدات بصرية أخرى، فالاهتمام ينصب على ما هو كامن وفريد في التصوير أي على ما لا يمكن إيضاحه أو إدراكه على أي نحو آخر، وقد كان سيزان يقول: (إن عملية التصوير الفني لا تعني نقل الهدف نقلاً جامداً، بل معناها فهم التناسق بين مختلف العلاقات ووضعها على اللوحة على شكل سلم أنغام في ذاته، عن طريق تنمية هذه العلاقات تبعاً لمنطق جديد فعمل

ويؤكد بول كلي أهمية عمليات التكوين الإنشائي قائلاً (إن اللوحة تتقدم تدريجياً من خلال أبعاد جديدة وهامّة ليس من المناسب الإشارة إليها بعد ذلك على أنها عملية تركيب أو بناء بل يجب أن نعطيها اسم التكوين).

ويشير أرنهيم إلى (أن ديناميات التكوين الإنشائي سوف تكون ناجحة فقط عندما تكون حركة كل جزء فيه متناسبة منطقياً مع الحركة الكلية للتكوين (الإنشائي)، فالعمل الفني يكون منظماً حول موضوع دينامي سائد ومنه تشع الحركة إلى النطاق الكلي للعمل).

عناصر التكوين الفني (المبادئ):

التكوين الإنشائي الجيد يجب أن لا يشتت العين من خلال عدم الاستقرار في بعض مكوناته أو من خلال نقص التوازن فيه، ففي الأعمال الفنية المكتملة تتفاعل العناصر مع بعضها البعض. إنها تتماسك من أجل تكوين وحدة لها قيمة أكبر من مجرد تجميع هذه العناصر، وقد أشار رسكن إلى أن هناك العديد من أنواع التكوينات التي يمكن أن يعتمد عليها الفنان أثناء عمله وهذه الأنواع هي في الواقع (مبادئ) وقوانين للتكوين أكثر منها فئات منفصلة أو مستقلة، ومن أهم هذه المبادئ التي أشار لقسم كبير منها رسكن، نذكر ما يلي:

١. قانون الأساسية أو الأهمية Law of Principality:

فالشيء البارز أو الكبير في التكوين الإنشائي غالباً ما يكون مسؤولاً عن الوحدة، أي إنه على الفنان- وفقاً لرسكن- أن يحدد ملمحاً أو شكلاً أو هيئة واحدة تكون أكثر أهمية من الأشكال الأخرى، ثم يقوم بتجميع هذه الأشكال أو... حول الشكل الكبير وإخضاعها له.

٢. قانون الاستمرار Law of Continuity:

ويتم من خلاله إعطاء بعض النتائج والاستمرار المنظم لعدد من الأشياء الأكثر أو الأقل تشابهاً. ويكون هذا التتابع أكثر إثارة للاهتمام عندما يرتبط ببعض التغيير التدريجي في طبيعة الموضوع أو في جانب منه، ويؤكد هذا القانون على فكرة الحرية الفردية للمكونات ويوحي بقدرتها على الإفلات من القواعد، لكنه رغم ذلك يتفق إلى حد كبير مع التصور المعروف عن المنظور.

٣. قانون التقويس Law of Curvature:

أي إن الأشكال أو الهيئات في اللوحة عادةً ما تخضع لنوع معين من المنحنيات أو الأقواس التي يمكن رسمها وتحديد الأشكال البارزة فيها، وقال رسكن (إن المنحنيات أكثر جمالاً من الخطوط (المستقيمة المباشرة)، لذلك فإنه من الضروري للتكوين الإنشائي الجيد أن تكون مكوناته بقدر الإمكان على شكل منحنيات بدلاً من كونها خطوط مستقيمة أو زوايا.

٤. قانون التغاير Law of Contrast:

ونعني به النغم الخافت والمرتفع في الموسيقى ويطابقه في الفنون التشكيلية تغاير في تكوين المساحات من حيث مقاساتها، وهناك تغاير في الألوان حار، بارد- وهناك تغاير في الموازنة، وفي الضوء حدّته وقيمه، وهناك تغاير في الخط والحركة والنسب والأحجام والمنظور... الخ.

إن التغاير كالليل والنهار كل يُظهر الآخر، فالرجل الطويل يُظهر الرجل القصير. إن هذا القانون من قوانين الكون ولمعرفة تكوينه نحتاج إلى دراية كبيرة في التصرفات الوضعية للعملية الفنية فالألوان الحارة تبرزها الألوان الباردة واللون الأبيض يبرزه اللون الأسود والنور يبرز الظلام أو بالعكس وهكذا.

إن عملية التغاير يجب أن تكون في موضع الهيئة دونما إسراف يؤدي إلى هدم العمل، بل يجب أن يكون لها معنى أدبي وجمالي للرؤية في آن واحد، وهي في هذه الحالة مساندة للوحدة العامة الشاملة.

٥. قانون التغيير المتبادل **Law of Interchanges**:

وهو يؤكد على وحدة الأشياء المتعارضة بإعطاء كل منها دوراً أو مساهمة في طبيعة وحركة الأشياء الأخرى، فالتغير في لون أو حركة الأشياء الأخرى، فالتغير في لون أو حركة أو شكل أحد المكونات يصحبه تغيير ضروري في المكونات الأخرى.

٦. قانون الاتساق **Law of Consistency**:

فرغم الاختلافات التي قد تكون كبيرة بين مكونات اللوحة من أشكال وألوان، فالأقسام الفرعية لها يجب أن تُظهر ميلاً واضحاً للتجميع المتسق.